

سعدى يوسف

قصائد الخطوة السابعة



قصيدُ الخطوة السابعة

سعدى يوسف

قصائد الخطوة السابعة

التلوين

قصائدُ الخطوة السابعة ، شعر: سعدي يوسف

الطبعة الأولى: 2010

© حقوق النشر والترجمة والاقتباس محفوظة

لدار التكوين للتأليف والترجمة والنشر

هاتف: 00963 112236468

فاكس: 00963112457677

ص . ب: 11418 ، دمشق . سوريا

www.attakwin.com

info@attakwin.com

taakwen@yahoo.com

القصاصدُ الخمسون التي يضمُّها الديوانُ هذا
كُتِبَتْ بين 29.05.2009 و28.03.2010 ونُشِرَتْ هنا،
مُنَجَّمَةً، حسب تواريخ تَنَزُّلِها.
أمَّا "الخطوةُ السابعة"، فالمَعْنَى بِهَا، خَارِجَ
هالةِ الرقمِ المقدَّس، أني دخلتُ، فعلاً، مرحلةَ
إعدادِ "المجلد السابع" من أعمالِي الشعريةِ.

س.ي

May Day in Morisplaz-Berlin

أول أيار في موريس بلاسه (برلين)

قالت لي جوانُ :

الليلة نسهراً حتى منتصف الليل
فقد نلقى ساحرةً في عتمةٍ منعطفٍ...

(ليلتُهنَّ !)

وفي الصبح

الصبح العالي

سنسيرُ إلى ساحة موريس، لننضمَّ إلى العمّالِ
ونهتفَ تحت الراياتِ الحمراء...

.....

.....

.....

كان الليلُ عجبياً في برلينَ الشرقيةِ

(لا أسهرُ في الغربيةِ)

كانَ الليلُ شوارِعَ من موسيقى الجازِ

وأثراً لقناني البيرةِ.

أغلقت الشرطةُ بضعةَ أحياءِ.

(كان مئاتٌ من شرطةٍ منعِ الشعبِ انتشروا...)

قلتُ :

جوانُ ...

إن كانَ الليلُ عنيفاً هذا العنفَ، فكيفَ، إذاً، سيكونُ الصبحُ؟

.....

.....

.....

الراياتُ الحُمْرُ، الراياتُ الخفّاقَةُ، راياتُ الأيامِ الذَّهَبِ

التأسيسِ، و كارل ماركس، وإرنست تُلْمان، بَرِيخت،

الكاباريت. الراياتُ المرفوعةُ أعلى من أبراجِ الكاتدرائياتِ

وأعلى من تاريخ التاريخ. الراياتُ الدفّاقَةُ في كلِّ ذراعٍ شُهْباً.
تلك الراياتُ سنشهدُها، صباحاً في الساحةِ، آنُ نُفِيقُ !



كان الوقتُ ضحياً.

بُرْجُ الساعةِ لم يشهدْ بعدُ مواعيدَ العشاقِ.
أم أن الناسَ، جميعاً، في الساحةِ حيثُ مُظاهرةُ الأوّلِ من آيارٍ؟
وفي هذا العامِ التاسعِ بعدَ الألفينِ، القلعةُ تَهْتَرُ.
العمّالُ بلا عملٍ.

سيكونُ الناسُ جميعاً في الساحةِ !

أمواجُ بيارقنا

وهديرُ حناجرنا

في الساحةِ...



سياراتُ الشُّرْطَةِ، ساكنةٌ. لا صوتَ، ولا شُرْطَةَ
والساحةُ (أعني موريس بلاتسه)

بَدَتْ فارغةً إلا من متسكِّعة
أفراد. أحسستُ بأني في غيرِ مكاني. قلتُ : جَوَان...
أُنْحَنُ وَصَلْنَا؟
قالت: طبعاً !



عجبا !
حتى التركيُّ
الكرديُّ التركيُّ
استبدلَ بالبِرقِ، دكَّانَ كَبَابِ !
لا مطرقةُ ستالينَ، ولا منجلُ ماو...
العمَّالُ الألمانُ يعومون، سعيدينَ، بأهَّارِ البيرةِ،
ثمَّتَ شمسٌ ساخنةٌ
والفتياتُ تمددنَ على العشبِ.

لندن 29.05.2009

تدقيق

لوح زجاج في نافذتي
في اللوح إطار أبيض (يبدو لي أسود).
أجلس، متكئاً، وأراقبُ :
في اللوح غيومٌ ثابتةٌ
وأعالي شجرٍ تهنزُ.
خطوطُ الفضة آتيةٌ ممّا ترسلهُ مدرسةُ الطيرانِ إلى
الأعلى.

واللوح (كما في الدرسِ الأوّلِ)
كان ثلاثة أقسامٍ :
سقفُ المبنى، حيثُ السجناءُ (وأعني نحنُ) هو الثلثُ
الأوّلُ
أمّا الثلثانِ ...

أحاولُ أن أدخَلَ، ثانيةً، في ما كان
دخولي الأولَ
لحظتي الأولى...

الآن

أعالي الشجرِ اهْتَمَدَتْ ساكنةً
وتحرَّكْ، في الأفقِ الملموسِ، الغيم...

لندن 19.06.2009

مَهْوُوسٌ

أَظْلُ مُنْدَفِعاً دَوْماً،
أَدُوسٌ عَلَى مُعَجَّلِ السَّرْعَةِ الْقُصُوى
وَأَتْرَكُهُ عَلَى أَدِيمِ الْحَدِيدِ الْجَهْمِ يَنْطَبِقُ
فَوْقِي سَحَابَةٌ مِدْرَارٍ تُظَلِّلُنِي
وَفِي الْمَدَى الْخَافِقَانِ : الرِّيحُ وَالْوَرَقُ.
مَا أَضِيقَ الْعَيْشَ !
لَوْ كَانَ الْمَدَى بِيَدِي
لَكُنْتُ سِرْتُ إِلَى مَا لَيْسَ يُخْتَرَقُ.

لندن 23.06.2009

النَّذِيرُ

تظللُ تحفراً في الساعاتِ،
رُبَّمَا أَصَبْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً
أَوْ اثْنَتَيْنِ، وَمَنْ يَدْرِي...
لَعَلَّكَ فِي مَا لَا تَرِيدُ تَرَى مَا الْمَعْدِنُ الذَّهَبُ
أَنْتِ الْمُكَلَّفُ بِالْبَلْوَى :
تَرَى شَبَّهًا فِي مَا يُرَى ذَهَبًا. أَنْتِ
الْأَمِينُ عَلَى الْوَرْدِ، الْأَمِينُ عَلَى مَا يَجْعَلُ الْكُونَ وَرَدًا.
حَيْثَمَا اتَّجَهْتُ
خُطَاكَ صَرْتَ طَرِيقًا. حُرْفَةٌ عَجَبٌ.
وَالْآنَ فِي صُبْحِكَ الْعَالِي
أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ الضَّحَى أَفْلُ كَاللَّيْلِ؟
أَنْ سِيَاجًا فِي الْحَدِيقَةِ لَا يَكْفِي

ليدفع عنك النسر. أنت،
وإن أقيمت في الوهد صار الوهد.
رايةً وقلعةً
لا تهين
واقرع مع الفجر صنجاً أنت تذخره
كي توقظ النُسغ في ما ماؤه حشبٌ ...

لندن 23.06.2009

الطبيعة

"سيمفونية صيفية"²⁰

للهواء الرطبة
تلك التي لمخاضات شرقية كمبوديا.
والغيوم معلقة بالكلايب
والعشب يبدو صبيغة عشب.
وما كان أمس غصوناً، بدا حجراً كالغصون.
الدقائق تضغطُ
حتى لتشعر أن ضلوعك قد تنثني.
القلب لا ينبضُ
الطيرُ غاب...
السماء التي تدني سوف تُطبقُ.
لا ترتجف!

أنتَ عَوَّدْتَ نَفْسَكَ أَنْ تَكْتَفِيَ بِالْقَلِيلِ الْقَلِيلَ
وإنْ كَانَ ذَاكَ الْقَلِيلُ هَوَاءً...
تَلَبَّثُ !

.....

.....

.....

لَكَأَنَّ كَفًّا ضَحْمَةً فِي الشَّرْقِ تَدْفَعُ هَامِيدَ الْغَيْمِ.
الْغَيْومُ تَنْوُّ، مَثْقَلَةٌ، وَتَرْجِفُ : إِنَّهُ الرِّعْدُ الْمُبَاغِتُ.
فَجَاءَتْ، وَبَلَا كَلَامٍ أَوْ سَلَامٍ، تَهْطِلُ الْقَطْرَاتُ، دَافِئَةً
كِبَارًا. تَسْمَعُ النَّبْتَ؟ انْتَبِهْ ! لِلنَّبْتِ أُغْنِيَةٌ. أَتَسْمَعُهَا؟
أَتَعْرِفُ أَيْنَ صَارَ الطَّيْرُ؟ لَمْ تَعُدِ الْحَدِيقَةُ مِثْلَ مَا كَانَتْ.
وَبَيْتِكَ لَمْ يَعُدْ بَيْتًا... لَقَدْ أَمْسَى حَرِيرًا شَاخِصًا...
هَلْ أَنْتِ تَسْكُنُهُ، أَمْ الْبَيْتُ الَّذِي قَدْ صَارَ يَسْكُنُكَ؟
اطْمَئِنَّ !

.....

.....

.....

مع البرق، من جهة الغرب،
جاءت بحيرةً سطحٌ مُعلِّقةٌ.
والبحيرةُ زرقاءُ. تطفو مع الغيمِ أبيضَ. برقٌ شفيفٌ
ونسمةٌ صيفٍ. رأيتُ السنونوَّ يُخطفُ عبْرَ البحيرةِ.
رَقَّ المطرُ.
صارَ ماساً على الورقِ المترنحِ والزهرِ.
غيمٌ خفيفٌ
نثارٌ لوردٍ خفيفٍ.
لك الآن أن تستكنَّ!

لندن 27.06.2009

مُقَارَنَةٌ

النسيمُ خفيفٌ
وسطحُ البحيرةِ مرآةٌ دَوَّحٌ وشمسٌ
يُشَوِّشُهَا بِجَعِ أبيضُ
وسَفينٌ من البَطِّ أسودٌ.
والجندُبُ، الآنَ، يفتحُ باباً من الطينِ...
من غصنِ صفصافةٍ رَفَّ طيرٌ
وفي لحظتينِ اختفى.

.....

.....

أنتَ تقصدُ هذي البحيرةَ
تأتي لتبحثَ عن نعنec الدَّغْلِ
عن بُطْنِجٍ
وروائحِ عشبِيَّةٍ.

أنت تبدو سعيداً
لأنك تلقي الذي جئتَ من أجله دائماً،
وتقولُ لنفسكُ :
ما أسهلَ النعمةَ !

.....

.....

الآنَ في عرْقِ صخرٍ
رجالٌ يموتونَ من قسوةِ الصخرِ
يذوونَ من لَهْفٍ
واقْتتالِ على حفنةِ التُّبْرِ.
أنتَ تقولُ لنفسكُ : ما أصعبَ النعمةَ !

.....

.....

الطيرُ يمرحُ.

لندن 02.07.2009

الشيوعي الأخير يغادر عمان

كاد الشيوعيُّ الأخيرُ يضيعُ في عمَّانَ...
عَشْرًا كانت السنواتُ : فارَقَها، ولم يَأْسَفْ لِمَا فَعَلَ
الفراقُ،

فربَّما كانت حديقتهُ من الصِّبَارِ،
أو كانت سفينتهُ من الورقِ المُقَوَّى.
ربَّما لم يُحَسِّنِ الإصْغَاءَ لِلنَّجْمِ البعيدِ،
وربَّما...

.....
.....
.....

كان الشيوعيُّ الأخيرُ يدورُ من جبلٍ إلى جبلٍ
ودُّوَارٍ وآخَرَ؛

كان يسألُ عن رفاقِ طالَ ما أنَسَـوهُ ما فَعَلَ الرصاصُ بهِ
ويسألُ عن موائدِ حانَةٍ لَمَّا تَعُدُّ مفتوحةَ الأبوابِ،
دارٍ للنقاباتِ ...

المدينةُ راکَمَتْ عجلاتها الصفراءَ، آلفاً
وأَعْلَتْ عاليَ الأبراجِ.

لم تَعُدْ المدينةُ مثلَ ما فارقتَها يا صاحبي،
و" الأزعريُّ " رفيقك الأبدىُّ غادرَ " إرْبِدَ " ...

الدنيا تبدلت

البلادُ غريبةٌ ...

غادرُ !

وحاذرُ أنْ يرى أحدٌ بها ...

وجهَ الشيوعيِّ الأخيرِ !

لندن 27.07.2009

ما البحرين؟

ما البحرين؟

قاسم حدّاد، أم جاسم؟

مقبرة لعراقيين أتوا من سومر؟

أم :

" مرج البحرين "

هنا يلتقيان

وبينهما البرزخ من مرجان وجمان؟

ما البحرين؟

البنك الدولي بها، أم " جبهة تحرير البحرين "؟

أمشيخة أم مملكة؟

إيمان أسيري أم فوزية؟

ما البحرين؟

سأظلُّ أسأَلُ عنها

لكنْ لن أعرفَهَا...

البحرين

على خارطةِ العالمِ

ليستْ حتى النُّقطةَ...

.....

.....

.....

لكني أعرفُ، من أجدادي،

من صندوقِ بريدٍ: "قِرامطةِ البحرينِ"

أعرفُ

ما البحرينِ !

لندن 28.07.2009

سكونٌ صيفيٌّ

الهواءُ تدلَّى
كأنَّ به مائعاً من رصاصٍ
كأنَّ الذي نتنفسُهُ لم يكنْ مثلاً هذا...
الغيومُ التي ثَقُلَتْ بالهواءِ تدلَّتْ على شُرُفاتِ المنازلِ.
لم يَمِرُقِ الطيرُ
والشمسُ، بين الرصاصِ العميمِ، اضمَحَلَّتْ.
أرى النملَ
والنحلَ

بين اضطرابٍ ومَسْعَى...

.....

.....

.....

وفي بَغْتةٍ أَتَذَكَّرُ، أَيْ هُنَا، مِنْذُ عَشْرِ
وَأَيِّ، هُنَا، سَامُوتٌ...

.....

.....

.....

تُبَاغِثُنِي قَطْرَاتُ الْمَطْرِ!

لندن 05.08.2009

النحلُ يزورني

على قميصي حطتُ نحلةٌ،
وأنتُ من بعدُ أخرى...
وكان الزهرُ مؤتلقاً يُتَعَمَّعُ الزانَ والبستانَ.
كيف أتى النحلُ العجيبُ إليَّ؟
مائدتني محدودَةٌ :
خبزةٌ
جُبْنٌ
وطافحةٌ بها نبيذٌ فرنسيٌّ...
أيقصدها النحلُ؟
الغريبُ في الأمرِ أن النحلَ ملتصقٌ على قميصي...
ومِلْحَاحٌ.
أيعرفُ أن الكونَ تحتَ القميصِ...

الشُّهَدَ
والمتَّهَى
تحت القميصِ،
وَأَن الطَّلَعُ يَضْرِبُ؟

لندن 08.08.2009

الخريف العاشر

منذُ عشرٍ، هنا في مُقامي،
أراقبُ هذا الخريفَ المُبَكَّرَ :
أرقبُ أُولَى فَرَاشَاتِ أَوْرَاقِهِ،
وهي تَسَّاقَطُ. الزَّهْرَ إِذْ يَتَمَلَّمُ مَرْتَبَكًا
والطَّيُورَ الَّتِي لَمْ تَعُدْ تَتَصَادَحُ فِي الْفَجْرِ.
لونُ السِّيَاحِ الَّذِي يَتَبَدَّلُ...
قد صَارَ لِي، مِنْذُ عَشْرِ هُنَا، مَرْتَلٌ.
صَارَ لِي فِي ارْتِحَالِ السَّحَابِ بَابٌ
ومفتاحُ بابٍ.
وغرفةٌ نومٌ تُطَلُّ عَلَى شَجَرٍ يَتَطَاوَلُ عِنْدَ الْبَحِيرَةِ.
قد يَهْبِطُ اللَّيْلُ مِثْلَ الرِّصَاصِ كَمَا اعْتَادَ أَنْ يَهْبِطَ اللَّيْلُ.

لن يُمَسِّكَ بِالْخَيْرِ حَتَّى السَّكَارَى
وَلَنْ تَطْرُقَ الْبَابَ حَتَّى الَّتِي كُنْتَ أَحْبَبْتَهَا.
أَنْتَ تَغْفُو وَتَعْرِفُ أَنْكَ فِي بَرْزَخٍ
لَسْتَ تَغْفُو.

أَتَعْرِفُ مَا لَوْنُ شَعْرِكَ فِي الْحُلْمِ؟
مَا لَوْنُ أَسْمَاكِ نَهْرِكَ فِي الْحُلْمِ؟
مَا لَوْنُ ثَوْبِ الْفَتَاةِ الَّتِي رَضِيَتْ أَنْ تُقَبَّلَهَا
قَبْلَ سَتِينِ عَامًا؟

لَقَدْ نَزَلَ الْفَأْسُ فِي الرَّأْسِ...
لَسْتَ الْوَحِيدَ الَّذِي يَتَسَاءَلُ...
لَسْتَ الْوَحِيدَ الَّذِي لَا يَرَى فِي اللَّيَالِي الطَّوِيلَاتِ...
لَسْتَ الْوَحِيدَ !

لندن 05.09.2009

أَمْشَى بِمِحَاذَةِ الْقَنَاةِ

أَمْشَى، وَأُمْسِكُ فِي كُلِّ كَفٍّ عَصَا !
عَصَوَانِ تَقْوِدَانِي ...
الْبَطُّ وَالْوَزُّ يَمْرَحُ
وَالسَّمَكُ الحُلْمُ فِي القَاعِ.
أَمْشِي بِلا هَدَفِ
قَد، وَقَد، أَبْلَغُ الجَسْرَ
أَوْ سَاحَةَ القَرْيَةِ ...
الشمسُ لَمْ تَبْدُ حَتَّى وَلَوْ لِحِظَةً
وَالغَيُومُ الَّتِي تَتَهَدَّدُنَا بِالسِّيُولِ
اسْتَكَانَتْ إِلَى هِدَاةِ العَصْرِ،
أَمْشِي
وَلَكِنْ كَعَبَ حِذَائِي رِصَاصٌ.

وأَمْشي
ولكنني لستُ أخطو...
.....
.....
.....

سأَمْضي، إذاً، حافياً !

لندن 07.09.2009

إيرلندية في الشمال الأميركي

"إلى بِنكي ووكر"

Binky Walker

شَعْرُهَا وَرَدُّ إِيرْلَنْدَةَ
الْوَجْهُ يَبْزُغُ مِنْ لُجَّةِ الْوَرْدِ.
هَادئةٌ، هِي، لَا تَتَكَلَّمُ :
بِضْعُ غَمَاغَمٍ لِلرِّيحِ،
لَكِنْ، عَلَيَّ، أَنَا، أَنْ أَفْسِرَ تَمْتَمَةً
أَنْ أَقُولَ :
أَحْبُكَ !
لَكِنهَا تَبَسَّسْتُ، صَامِتَةً.
ثُمَّ، بَعْدَ دَقَائِقَ، هَمْسُ لِلرِّيحِ :

إن أنتَ جئتَ وحيداً، إلى "حانةِ المَعْبِدِ"^{*}
المستَكِنَّةِ في آخرِ الليلِ،
في آخرِ الكونِ...
سوف أُحِبُّكَ !

لندن 08.09.2009

* المقصود بـ "حانة المعبد" منطقة حانات تاريخية في العاصمة
الإيرلندية دبلن Temple Bar

مرحباً، منتظراً!

اليومَ سأشربُ كأسِي شايًا بالعسلِ...

اليومَ، أُحيِّيكَ

وأشربُ نَحْبَكَ...

كأسَكَ، شايًا بالعسلِ!

منتظرًا منك، مبادلتي نَحْيي، يا منتظرًا!

اليومَ، هنا، وكما في كل الدنيا، أحدًا...

لكن، لا أحدَ، اليومَ، سواك

لقد وحدتَ العَلَمَ الوطنيَّ

جلوتَ له المعنى

وجعلتَ العَلَمَ الوطنيَّ يَحْلُقُ مقذوفًا

ليصيبَ...

.....

.....

.....

احذر، يا منتظرُ !
القتلُ (وأعني قَتَلَكَ) صعبٌ في السجنِ،
ولكنك، يا منتظر الزيديِّ، ستبقى هدفَ المحتلِّينِ الأوَّلِ.
لن ينسوا أنك وحدتَ العَلَمَ الوطنيِّ،
جعلتَ العَلَمَ الوطني
يُحَلَّقُ مقذوفاً
ويُصيب...

لندن 13.09.2009

لَيْلُ الْمَحَطَّةِ

سوف تأتي جوانُ ليلَ الأحدِ :
الرصيفُ في محطةِ المترو سيبدو شبه مغسولٍ
من النوءِ الخفيفِ
الضوءُ يبدو شاحباً
لا وقعَ أقدامٍ
ولا مسافري ليلٍ...
محطةُ المترو غفَتُ، مثلَ محطاتِ القرى في ليلِ أسكتلندة.
هل أبدو، أنا، مشتبهاً به؟
الساعةُ في المدخلِ... هل تستنطقُني؟
مَنْ أنتَ؟
مَنْ تستقبلُ، اللحظة، ليلَ الأحدِ؟
الشرطةُ في سيارَةِ الدوريةِ

الفندق، حيثُ العاهراتُ ارتحنَ من أثوابِهِنَّ،
استقبلَ التجارَ بالجازِ القديمِ.

.....

.....

.....

جوانُ تأتي...

جر جرت، عبرَ محطّاتِ الشمالِ، البحرَ
والأوراقَ

والضحكةَ، ملءَ العالمِ.

جوانُ ستبدو، آنَ أستقبلُها، تنتظرُ القبلةَ
كالوردةِ إذُ تنتظرُ الطلَّ

كفانوسٍ على كوخٍ

و كالهداةِ في ليلِ المحطّاتِ...

كأنفاسي التي أمستُ تضيء.

لندن 19.09.2009

اليَعْسُوبُ الذَّهَبُ

غَيْرَ بَعِيدٍ عَنِ مَطْعَمِ أَسْمَاكَ " الشَّبُوطِ الْيَابَانِيَّ"
وَعِنْدَ سِيَاحِ مَرٍّ نَحْوِ الْغَابَةِ حَيْثُ ثَلَاثُ بُحَيْرَاتٍ
تَرْتَشِفُ النُّورَ،
شَفِيفًا

فِي هَذِي السَّاعَةِ مِنْ يَوْمٍ خَرِيفٍ...
كُنْتُ أَحَاوِلُ أَنْ أَتَمَلَّى غَصْنًا مَقْطُوعًا
قَذَفْتُهُ الرِّيحُ إِلَى أَعْلَى السُّورِ
وَأَنْ أَلْمُسَ مَا يَهْجُسُهُ الْغَصْنُ الْمَقْطُوعُ عَنِ الشَّجَرَةِ.
كَانَ أَصِيلٌ رَطْبٌ
وَ أَرَانِبٌ فِي الْمَرْجِ
وَبِضْعَةُ أَطْيَارٍ سَوْدٍ...
وَأَنَا، غُفْلًا، أَتَمَلَّى هَذَا الْغَصْنَ الْمَقْطُوعَ.

أقولُ لِنَفْسِي : هل سيعِيدُ الغصنُ الدّورَةَ؟
أعني هل سيعودُ الغصنُ المقطوعُ إلى أشجارِ الغابةِ في يومٍ ما؟
هل سيعودُ النُّسُغُ إلى اللوحِ اليابسِ؟
هل تَخْضَرُ الأوراقُ؟

.....
.....
.....

وفي مِثْلِ الخَطْفَةِ

في مِثْلِ اللَهْفَةِ

في مِثْلِ غِيَابِي... حَطَّ عَلَى إِهَامِي يَعسوبُ ذَهَبٌ.

لم أعرفُ : هل أنظرُ أم أشعرُ؟

واليعسوبُ...

أهذا اليعسوبُ الذَّهَبُ، الشَّيْءُ أم الرُّؤْيَا؟

لكنَّ اليعسوبَ، خَفِيفٌ، وَشَفِيفٌ، وَحَقِيقِيٌّ أَيْضاً

وَيَحِطُّ عَلَى إِهَامِي !

إن جناحيه يرفان، رقائق من ذهبٍ صاغته ملائكةٌ...
ويرفان على إمامي، فعلاً!

.....

.....

.....

هل يعرف هذا اليعسوبُ الذهبُ، القصةَ :
هل سأعودُ، كما سيعودُ الغصنُ المقطوعُ، إلى الشجرة؟

لندن 23.09.2009

روايةٌ روسيةٌ^{٢١}

آنَ ما يتناوحُ هذا الهواءُ
آنَ ما يتناوحُ مرأى البحيرةِ في صمتِها
آنَ ما يَعْمُقُ الورقُ المتساقطُ في لونهِ
آنَ ما أشتهي أن أُقبلَ ما تحتَ سروالِها
آنَ أقذفُ قنبلةً نحو مَنْ يتهدّدُ معنى العراقِ
آنَ أصغي إلى الصمتِ في المطرِ الناعمِ...
آنَ أشعرُ، في البردِ، أني الحريقُ بأكواخنا
آنَ يأتي الزمرّدُ من آسيا
آنَ تأتيين أنتِ، متوجّعةً في المحطةِ، زرقاءَ أو وردةً
آنَ أسألُ عن مبدأ
آنَ أن نتكوّرَ في فِعْلنا الحُبِّ، مثلَ الفراشاتِ مأخوذةً
آنَ أرفضُ ما ليسَ أرفضُهُ

آنَ لاَ أعرفُ...
آنَ ألبسُ، ثانيةً، جزمةً للفدائيِّ
(ليستُ مبالغةً. نحنُ كنا ببيروت في 1982)
آنَ أسألُ عني
آنَ لاَ أسألُ.
آنَ أفرحُ لو كنتُ أعمى...
آنَ أنتظرُ الطلقةَ الذهبيةَ
آنَ الشميمُ الذي جاءَ من نجدِ النجدِ أستأفُهُ
آنَ أصغي إلى المنتهى.
سوفُ أكتبُ.

لندن 22.11.2009

كلامٌ في أوّل الليل

سوف أبحثُ عنكَ :
السماءُ التي أطبقتُ سوف تُطبِقُ أكثرَ
لكنني سوف أبحثُ عنكَ...
تقولُ : الجبالُ رماديةٌ.
ومتى لم تكنْ هكذا؟
وتقولُ : المقاهي التي قد أَلْفَنّا زماناً،
تُعلّقُ أبوابها
واحداً بعد آخر...
حتى ملابسنا قد تبدّلتِ :
السترةُ انقلبتُ
والقميصُ الذي كان أبيضَ قد صارَ أسودَ.
.....

.....

.....

هل أنتَ تسمُعني؟

هل ترهّف سمعك للنملِ قبلَ المطرِ؟

هل رأيتَ الجذورَ الخفيّةَ، تلكَ التي تمنحُ الشجرَ الميّتَ

أوراقَ ميلاده؟

هل رأيتَ، وقد جلجلَ الرعدُ، برقاً؟

إذاً، سوفَ أبحثُ عنك

وألقاك.

إن الحياةَ يحقُّ لها أن تُعاشَ.

ونحنُ، يحقُّ لنا، أن نعيشَ...

لندن 14.12.2009

مدرسة الحمودية

المرايا هي الجدران، وهي السقف. مرايا ذوات أشكالٍ:
مثلث. معين. مربع. مستطيل. دائرة - المرايا ذوات ألوان:
أزرق. أخضر. سماوي - المرايا نورٌ ملصقٌ على الجدران -
المرايا نورٌ يتدلى من السقف - الخشب شفيفٌ.
من النافذة تأتي سعةٌ ترجحُ مع نسيمٍ خفيفٍ ساخنٍ.
الجسْرُ (ما زال خشباً) يبدو من النافذة الأخيرة. والنهر
الذي يقال إن في منتهاه المنزل الذي لن نراه : منزل بنات
الشلي. مطر. مطر. يا حلي. عبْرُ بناتِ الشلي. مطر. مطر.
يا شاشا. عبْرُ بناتِ الباشا. يا مطراً من ذهبٍ !
السيد علي الطبيب الهندي يسكنُ هو أيضاً في أقاصي النهر
التي لن نبلعها. حياّت الماءِ تقطعُ النهرَ من ضفةٍ إلى أخرى.
نحاولُ أن نُمسكَ بجيْطِ الفضةِ المتعرجِ. الحياّتُ تتلَقُّ

مراوغةً. سَمَكُ الْجِرِّيِّ يَلْتَقِطُ الطُّعْمَ الْفَقِيرَ، الْعَجِينَةَ أَوْ
الْتَمْرَةَ. سَنَجْفُفُ جِلْدَ الْجِرِّيِّ لِنَصْنَعُ طَبولْنَا فِي الْمَاجِرَةِ
الْقَائِظَةِ. خَلِيلُ الطَّوِيلِ يُعَلِّمُنَا الْعَرَبِيَّةَ وَالْجُغْرَافِيَا. نَحْنُ الْآنَ
نَعْرِفُ الْقَارَاتِ. فِي أَيِّ قَارَةٍ نَحْنُ؟ إِفْرِيْقِيَا مَعْنَا. سَتَدُقُّ الطَّوِيلُ
فِي اللَّيْلِ الْمُحْتَدِمِ. وَنَحْنُ نَحْتَبِي تَحْتَ ثِيَابِ أُمَّهَاتِنَا الطَّوِيلَةَ لِنَتَسَلَّلَ
إِلَى حَلْقَةِ الزَّارِ الْمُحْتَنِقَةِ بِالْبُخُورِ. أَبُو الْخَصِيبِ كُلُّهَا تَدُورُ
حَوْلَ الْمَدْرَسَةِ. أَبُو الْخَصِيبِ هِيَ الْمَدْرَسَةُ. الْمَحْمُودِيَّةُ
هُدِمَتْ. الْمَحْمُودِيَّةُ هُدِمَتْ عَلَى رُؤُوسِنَا، نَحْنُ، أَبْنَائِهَا
الْيَتَامَى.

لندن 17.12.2009

قلانسُ ياسَمين

في ليالي الشتاء الطويلاتِ
إذ يسقطُ الثلجُ...
أقصي قليلاً ستارةَ غرفةِ نومي،
وأنظرُ عبرَ الحديقةِ
حيثُ البياضُ المُقيمُ،
أتابعُ مرأى البحيرةِ في البُعدِ
بينَ الجذوعِ التي تلبسُ الآنَ لونينِ :
بُنّاً
وأبيضَ.
أعرفُ أني وحيدٌ
وأنني هنا بينَ مَنْ لن يكونوا ليَ الأهلَ،

لكني أستريحُ إلى ذلك النورِ إذ يتخافقُ في نقطةٍ لا أُحدِّدها
من فضاءِ البحيرةِ
ربّما كانت النارُ نارَ القواربِ
أو خيمةِ العاكفينَ على وهمِ أسماكِهِم.

.....
.....
.....

يسقطُ الثلجُ.
أغمضُ عينيَّ.
تأتي الغزاةُ من آخرِ الدَّغْلِ،
يتبعها راقصونَ بأرديةٍ من حرائرَ صينيَّةٍ
وطبولٍ
وسبَّعِ فلانسٍ من ياسمين.

لندن 18.12.2009

سأكونُ صديقي

سأجلسُ على المصطبة الخشبِ.
إلى يمين الباب. باب بيتي الذي هو ليس بيتي.
سأجلسُ. أحدقُ في العشب الذي لا يذوي.
أحدقُ في الأغنية التي تغيب. لم تكن السماءُ عاليةً هنا، أبداً.
الطيورُ تَبْلُغُها والطائراتُ وأدخنة المدافئ الغازية. أسمعُ؟
ربما مسرراً الدم في ذراعي الشمالِ.
لم يعد البريدُ يحدثُني. ماذا أنتظرُ هذا الصباح؟
السنجابُ الوحيدُ
الذي يقتربُ مني اختفى اليومَ.
وطائرا الزريابِ رحلا.
لستُ أدري متى يعودان.
سيكون المساءُ بارداً. أقولُ لك شيئاً :

أنا منذُ اليومِ سأكونُ المُدَوِّنَ.
الساعاتُ ليستُ فارغةً. ملايينُ
النوابضِ والنبضاتِ تنتظرُ مني أن أكونَ وقيّاً. إذأ،
سأجلسُ على المصطبةِ الخشبيِّ.
سأظلُّ جالساً حتى تحتِ نثيرِ الثلجِ. لا أنتظرُ شمساً ولا
مصافحةً. سأكونُ صديقي...

لندن 18.12.2009

الإختناق

ربما في صباحٍ سيأتي قريباً
(لِنَقُلْ بعد خمسين عاماً وأكثرَ)
أمضي (كما يرجعُ الجدولُ الجبليُّ إلى نبعه)
نحو بيتي.

ليس لي (في الحقيقةِ إنْ شِئْتَ) بيتٌ

ولا بعضُ بيتٍ

(أُحِسُّ هنا بالسعادةِ).

لكنني أتوهَّمُ أنَّ هناك، بأقصى الأقصي، بلاداً

تُسَمَّى العراقَ

وأنَّ بها بشراً يسكنونَ الشواطئَ والقنْفَرَ

أنَّ الهوَاءَ بها ليس يقتلُ مَنْ يتنفسُهُ...

أتوهَّمُ هذا

وأسكنُ في حافةِ الوهم...
حتى إذا حانَ حينِي اسـترحتُ ؛
فلا جدولٌ جبليُّ يُراجِعُ منبعَهُ
لا بلادٌ تسَمَّى العراقَ،
ولا ملعبٌ للشعالبِ والأيلِ المتواثبِ
لا نسمةٌ في الهواء...

لندن 21.12.2009

حياة عمليّة

ذهبتُ في قطار الشمالِ إلى أهلها، ليلة العيد...
قلتُ لها : لو تمهّلتِ !

لو هممتِ، أكثرَ، في الوادِ...
لو نمتِ، أكثرَ...

لكنها حملتُ في الصباحِ المُبَكَّرِ، ضحكتهَا
والحقيبةَ (كانتُ حقيبةَ خيطٍ)
وراحتُ مع الريحِ والثلجِ.
والآنَ

عند المحطة

لم أدر كيفَ أودّعها :
هل أقبّلُها؟

هل أقولُ كلاماً كما اعتادَ أهلُ البلاد؟

وهل أحملُ الوزرَ؟
أعني : أأحملُ نحو القطارِ حقيبتها الخيطَ؟
لم أدِرِ.
أما هي...
(الأمرُ أيسرُ مما ظننتُ.)
فقد خطفْتُ، مثلَ ما يَخطفُ البرقُ، تلكَ الحقيبةَ.
قالت : وداعاً
وغابتُ...

لندن 22.12.2009

أبسطُ من سؤالٍ

لن يكون المساءُ جميلاً
ولا طيرُهُ...
أنا أعرفُ هذا
ويعرفُ ما أعرفُ الطيرُ.
حتى النوارسُ غامتْ مجسَّاتُها فتوهَّمتِ النهرَ بجرأً
بل هي، الآنَ، تنقرُ عشبَ الحديقةِ !
ما ذا سأفعلُ؟
إن أخطأَ الطيرُ كيفَ أكونُ المُصِيبَ؟

لندن 23.12.2009

أجراسُ الميلاَد

لم أسمع الأجراسَ...
قد أرهفتُ سمعي طولَ ليلٍ لا يكادُ يزولُ
لكن، ولأقلِّ ما قُلْتُه، لم أسمع الأجراسَ...
كان الليلُ يثوي هامداً
لا ریحَ في الدَّغْلِ القريبِ
ولا نُباحَ
ولم تُرَدِّدْ صيحةً من أيِّ طيرٍ ؛
والبحيرةُ أَعْتَمَتْ.
لم أسمع الأجراسَ...

.....

.....

.....

في الفجرِ كان ندىً على عشبِ الحديقةِ
ثعلبُ الدغلِ القريبِ أتى،
وسنجابٌ

ونورستانِ جائعتانِ،
ثمَّتَ عققُ يدنو...

وطائرُ تدرُجِ،
والشمسُ توميءُ. هل أراها؟

.....

.....

.....

أسمعُ الأجراس... ..

لندن 25.12.2009

هَذِهِ^{٢٩}

من وراء الزجاجِ المُضَاعَفِ، أسمعُ صوتَ
المطرِ.

هل مضى الليلُ؟

لن يمضيَ الليلُ :

هذا المطرُ

كأسُهُ المتطافِحَةُ...

الليلُ يَثْمَلُ

يَثْقُلُ

يتزلُّ من رَفِّهِ لِيُوَحِّدَ ما بينَ أسرارِهِ

والبشرِ.

.....

.....

.....

كان صوتُ المطرِ

يتسرَّبُ.

صوتُ المطرِ

يتسرَّبُ رفةً هُدْبِي

لأدخَلَ في قطرةٍ من مطرِ.

لندن 26.12.2009

إِضْرَابُ بَحَّارَةٍ

ربما كان أوَّلَ إِضْرَابِ بَحَّارَةٍ فِي الْمِيَاهِ الَّتِي تَتَسَوَّرُ أَرْضَ الْعَرَبِ
كَانَ إِضْرَابَ بَحَّارَةٍ فِي مِيَاهِ عِرَاقِيَّةِ
كَانَ إِضْرَابَ بَحَّارَةٍ بَيْنَ مَلْحِ الْخَلِيجِ وَسَلْسَالِ شَطِّ
الْعَرَبِ...

أَتَذَكَّرُ عَمِّي : حَمِيدَ الشَّهَابِ،
حَمِيدَ الَّذِي لَمْ أَزَلْ أَمَثَلُهُ كَالْفَتَى...
قَالَ: كُنَّا وَحِيدَيْنِ بَيْنَ الرِّصَاصَةِ وَالْبَحْرِ.
لَا أَتَذَكَّرُ مَا قَالَ عَنِ سَجْنِهِ...
كَانَ أَصْغَرَ أَعْمَامِي.

الآنَ أَسْأَلُ : مَنْ يَتَذَكَّرُ إِضْرَابَ بَحَّارَةٍ غَيْرَ عَمِّي حَمِيدِ
الشَّهَابِ،
غَيْرَ عَمِّي حَمِيدِ...

لندن 26.12.2009

تشخيص^{٢٦}

باطنُ كَفِّي اليمنى، يحضنُ ظاهرَ كَفِّي اليسرى
وأنا المتكَمِّشُ بَرْدًا أُسِنْدُ رَأْسِي، تعبانُ، إلى صدري...

ساقاي تَحَشَّبتَا

والقدَّمان تَلَبَّشتَا

لا أملكُ أن أُتَلَعَ عُنْقًا

أو أُومِي...

مَنْ أَسْأَلُ أن يُدِرِكَنِي وأنا أوشِكُ أن أَتَطَوَّحَ في البئرِ؟

الليلُ المُطْبِقُ يُحَكِّمُ أنشوطتَهُ أكثرَ،

والأشجارُ السُّودُ (أرَدَّدُ حتى الأشجارُ السُّودُ) تَغيبُ

عن الصُّورةِ

والبحرُ المَتموِّجُ في إحدى لوحاتِ الحائطِ يدخلُ في طَورِ

سُباتٍ...

لا صوتَ ...

هنا.

لا صوتَ ...

هل القبرُ هو الفردوس؟

لندن 27.12.2009

الْبَحِيرَةُ الْمُتَجَمِّدَةُ

الْبَحِيرَةُ تَدْتَرُّ الْيَوْمَ بِالثَّلْجِ...
مِعْطَفُ نُورٍ يُدْتَرُّهَا بِهَشِيمِ الزَّجَاجِ
وَأَلْوَاحِهِ...
أَلْمُسُ الْمَاءِ
أَرْتَدُّ. تَدْهَمُنِي رِعْشَةٌ فِي الْأَصَابِعِ
تَدْهَمُنِي رِعْشَةٌ فِي الْجَبِينِ،
وَلَكِنِّي أُسْرِعُ الْخَطْوَ
حَتَّى كَأَنِّي أُرِيدُ امْتِلَاكَ الْبَحِيرَةِ، أَنْ الْبَحِيرَةُ تَنَآى
وَتَلْتَفُّ بِالْمِعْطَفِ الثَّلْجِ...
أَنْ الْبَحِيرَةُ تَدْخُلُ فِي مَا يُرَاوِغُ حَتَّى الْعَيُونِ.

لندن 28.12.2009

جِنازةٌ

ساحةُ الحَيِّ كما هيَ :
فارغةٌ إلا من بضعِ سيّاراتٍ مبتلّةٍ من أمطارِ اليوميّنِ السالفينِ .
والسقوفُ البنيّةُ
عادةً تبدو رماديّةً أقربَ إلى السواد .
السروّةُ الفتيةُ أسفلَ نافذتي لا تكاد تهمتزّ مع أن ريحاً خفيفةً
تندحرجُ في الحديقة .
امرأةٌ تطوي مظلّتها لتدخلَ من البابِ الرئيسِ للمبنى
حيث يقيمُ المنتظرونَ الرحيلَ إلى الجنّة .
لا أدري إلى أين ذهبت الطيورُ ...

.....

.....

.....

قبل دقائق فقط
كانت الساحة تكتظُّ بسياراتٍ سودٍ
ومعاطفٍ سودٍ
وأكاليل زهورٍ...
والتابوتُ يكاد يختفي في سيارة المرسيدس الطويلة
تحت أكاليل، بعضها اصطناعيُّ.
لم أعدُ أسألُ
كلُّهم راحلٌ إلى الجنة.
أما أنا، فمُوكَّلٌ بهذا الفضاء.

30.12.2009

" ملحوظةٌ : علمتُ الآنَ من طفلةٍ مرحةٍ ترتدي السوادَ، أن
جارتي المباشرةَ، باتت، هي التي ماتت°"

هكذا...

نورستانِ حَطَّتا ضُحىً على السقفِ

(وأعني سقفَ بيتي)

غيرَ أني رجلٌ ولستُ بحراً...

فلماذا حطَّتِ النورستانِ؟

الآنَ

لا يحقُّ لي أن أتساءلَ

أو أُجيبَ...

قد حطَّتْ على سقفي، ضُحىً، نورستانِ

هكذا.

لندن 03.01.2010

خَرْبَشَة²⁰

ليس مهمماً أن تعرفَ في أيِّ مكانٍ أنتَ.
مهمٌّ أن تعرفَ مَنْ لا تعرفُ في أيِّ مكانٍ...
مثلاً :

ماذا يأكلُ آخرُ سِكِّيرٍ في آخرِ حاناتِ بِلِغْراد...
وماذا يفعلُ عصفورٌ إن هبطَ الثلجُ.
وماذا ستقولُ امرأةٌ لعشيقٍ لم تُعجِبْهُ
صلافتها الأمازونية.

ماذا سيكونُ نعاسُ المحكومِ عليه بأن يُشَنَقَ فجراً.
ماذا تأكلُ إن كنتَ نباتياً في أرضِ القرغيز.
ومنَ تسألُ إن أخطأتَ سبيلَ العودِ في نيويورك...
إلخ...
إلخ....

إلخ...؟
لكنك لا تؤمن بالآخرة!
الآن، ستعرف في أي مكان أنت...

لندن 03.01.2010

ليس رهاناً

سأكونُ صريحاً معكِ الليلةَ :

أنتِ تقولين "أحبُّكِ" ...

(كنا في بارِ "الأسدِ الأحمرِ" ذاتَ مساءٍ أتذكُّرُهُ)،

لكنكِ حينَ تقولينَ : "أحبُّكِ"، أسمعُ : "لستُ أحبُّكِ" ...

(كنا في بارِ "الأسدِ الأحمرِ").

أما في هذي الليلةَ، آنَ الثلجُ يهدُّدُنَا بحصارٍ أبيضَ، أياماً

آنَ أراكِ مُنعمَةً بقميصِ حريرٍ صينيٍّ أسودَ

فوقَ سراويلِ حريرٍ صينيٍّ سُودَ،

آنَ تمهَّلتِ طويلاً لتقولي : سوفَ أظلُّ هنا، في لندنَ، أسبوعاً

معكِ ...

في هذي الليلةَ

لن أتذكُّرَ

لن أُجهدَ أعصابي لأفسّر...
سأصدّقُ ما تنطقه شفتاكِ، ونحن نرُدُّ عن الجسدينِ الثلجَ
المدرارَ :
أحبُّكِ !
لستُ أحبُّكِ...

لندن 04.01.2010

حالة يومية¹⁰

ليس من عابرين هنا

ليس من زائرين

الطبيعة أغلقت الساحة الداخلية حيث الخنازير

حيث السناجب

والناس

والنورس المتوهم تلك البحيرة بجرأ...

أقول :

ذراعي تُجاذِبني... كيف لي أن أقاوم؟

رَبَّتْما أسلم الرِّسْع :

للغل؟

للمبضع المرتجى؟

للفتاة التي تركت قطعة من ملابسها الداخلية تحت الفراش؟

.....

.....

.....

في هذه اللحظة، الثلج يهبط أثقل
أثقل
أثقل.

لندن 11.01.2010

خَيْتَةُ الْعَلَمِ

في ساحةِ مدرسةِ المحموديةِ

في الصبحِ

نحْيِي الْعَلَمَ الْوِطْنِيَّ (أَعُوذُ إِلَى سَبْعِينَ خَلْتُ).

كُنَّا نَنْشُدُ :

يا أوروبَّا لا تُغالي

لا تقولي : الفتحُ طابُ

سوف تأتيك الليالي

نورها لمعُ الحرابِ ...

يا أوروبَّا !



الآنَ

وفي لندنَ (بعدَ الأعوامِ السبعينِ)

وبعدَ غرامِ الموسيقىِ وغرائمِها،
أعرفُ ما كُنّا نُنشِدُ،
كُنّا نُنشِدُ
ريتشارد فاجسِنر
في مفتحِ الأسطوريِّ سيِجفريدِ ...



يا أوروبّا !

لندن 19.01.2010

هواجس منزل التلّ

مطرٌ لا يُرى، يتغلغلُ في ملمسِ العُشبِ
يدخلُ بين خيوطِ القميصِ
وفي رثةِ الطيرِ.
كان النهارُ بطيئاً
وسوفَ تكونُ الليالي الطويلاتُ أبطأً.
كم قلتُ : إني سأرحلُ عن منزلِ التلّ !
كم قلتُ : إني سأُنصبُ لي خيمةً في رمالِ الجزيرةِ
أو أسفلَ الأطلسِ ...
البردُ يُرْعِشُ مني الأناملَ.
أنظرُ :
لا شيءَ في الأفقِ
مُنْبَسَطٌ من سماءِ رمادٍ

ومنحدّرٌ من غصونٍ يَباسٍ يُقَضِّقُضُّها
النوءُ.

.....

.....

.....

سوف يظلُّ المطرُ

لا يُرى.

سوف أبقى هنا، أخضدُ الليلَ في متلِ التلِّ،

أبقى هنا

صيحةً ليس يسمُعُها أحدٌ

صيحةً في عُواءٍ بعيدٍ...

لندن 27.01.2010

ثلاثة ثعالب تلعبُ في ضوء القمرِ

في الساحة الخلفيّة الخضراءِ للمبنى
(وأعني المَلجأَ البلديَّ حيثُ أعيشُ)
كانت فضّةٌ تنهَلُ من بَدْرِ حقيقيٍّ
(كما في الرسمِ أو في السينما)
حتى كأنَّ الليلَ قُطِبِيُّ النهارِ
وأنا في سينما صيفيّة...
والعشبُ، حتى العشبُ، يلمعُ في بياضٍ أخضرَ
الأشجارُ نائمةٌ على أغصانها العُريانةِ،
الليلُ الذي أحياهُ منتصفُ،
وأسمعُ صيحةً مجهولةً من طائرٍ ...

.....

.....

.....

في بَغْتة
في لحظة بيضاء
في نُعْمَى مباركة
رأيتُ ثعالِباً يلعَبُنَ
تحت شَجيرة تتوسَّطُ البستانَ
قد كنتُ أتركتُ لهنَّ زاداً في المساءِ.
طَعْمَنَهُ،
وتركَنَ صحنِي فارغاً، متألِّقاً،
في نورِ بستانِي السماويِّ.
الثعالِبُ كُنَّ يلعَبُنَ
السَّماءَ خفيضةً
والأرضُ بيضاءً...

لندن 30.01.2010

لا بأس عليك !

عشرة أعوامٍ مرّت، لتراك، كما أنت،
تحديقُ عبرِ النافذةِ الغريبةِ،
لا بأسَ عليكِ...
النافذةُ الغريبةُ مرأتكُ
والمَرأى
الساحةُ والأشجارُ، وسقفُ المَبني الممتدُّ
كحوتٍ أسودَ تحتَ سماءِ رصاصٍ.
لا بأسَ عليكِ...
الأعوامُ العشرةُ لم تكتنمِ أنفاسكُ
لم تنبذكُ وحيداً في ليلِ المطرِ،
الأعوامُ العشرةُ أعطتكِ الدُّربةَ :
أنْ تتحمّلَ، مثلَ جوادٍ برّيّ، كلَّ فصولِ الكونِ،

وَأَنْ تَتَنَفَّسَ كَالأَسْمَاكِ
وَأَنْ تَأْكَلَ قَلْبَكَ أَنْ تَجُوعُ.
وَأَنْ تَصْبِرَ إِنْ هَجَرْتُكَ امْرَأَةً
وَأَنْفَضَ السَّامِرُ عَنْكَ.
وَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ...
الأعوامُ العشرةُ أعطتكَ النافذةَ الغرييةَ
فانظُرْ عبْرَ النافذةِ الغرييةِ
وانظُرْ عبْرَ النافذةِ الغرييةِ
وانظُرْ :
رَبَّتَمَا سَتَكُونُ الْمُبْصِرَ فِي أَحَدِ الأَيَّامِ.

لندن 12.02.2010

حَنَاءُ الْفَاوِ

حَنَاءُ نَسَاءِ الْبَصْرَةِ تَأْتِي مَعَ مِلْحِ الْبَحْرِ

وَأَسْمَاكِ الْبَحْرِ

وَرُؤْيَا الْبَحْرِ

مِنَ الْفَاوِ...

الْأَوْرَاقُ الْخُضْرُ، مَخْشِشَةٌ تَأْتِي، فِي أَكْيَاسٍ مِنْ خَيْشٍ.

سَتَكُونُ الْأَوْرَاقُ طَحِينًا أَخْضَرَ مُغْبَرًّا

سَتَكُونُ عَجِينًا أَخْضَرَ

أَخْضَرَ، مُحْمَرًّا بَعْدَ دَقَائِقَ.

حَنَاءُ الْفَاوِ

خَضَابٌ لِحَى وَجَدَائِلَ

رَاحَاتٍ عَرَائِسَ

أخفافُ حُفَاةٍ شَقَّقَ أَقْدَامَهُمُ السَّعْيُ عَلَى طَرُقَاتِ
اللَّهِ...

وَحِنَاءُ الْفَاوِ

كَأَسْمَاكِ الْفَاوِ

وَمِلْحِ الْبَحْرِ

وَرُويَانِ الْبَحْرِ

تَنَاءتْ، حَتَّى غَابَتْ فِي مَا كَانَ يُسَمَّى الْفَاوِ...

.....

.....

.....

خَالَاتِي الْمَسْكِينَاتُ سَكَنَّ الْفَاوِ.

لندن 12.02.2010

لن تأتي الرياحُ الغربيةُ

أضواءً متناثرةً

لَمَرَكَبٍ ضَيِّقَةٍ، تبدو في البُعدِ
وراءَ الأشجارِ العاريةِ.
الآنَ

وفي الماءِ المتجمِّدِ للقنواتِ
سَيُشْعَلُ جَوَّابُونَ مَوَاقِدَهُمْ
ليكونَ بَحُورُ الصِّفْصَافِ هَوَاءً نَهَارٍ أبيضَ.
لكن، قد تأتي الرياحُ الغربيةُ بالعَيمِ المُثْقَلِ
والوزِّ المِصريِّ

وبالعَيْنينِ المِغْمَضَتَيْنِ على صخرةٍ بِحَرِّ في عَدَنِ،
قد تأتي الرياحُ الغربيةُ...
أمَّا الآنَ

فليس لنا غيرُ الجُدُرانِ الأربعةِ ؛
اليومَ، الأحدُ
اليومَ، أظَلُّ بلا أحدٍ
أنقرُ في الجُدُرانِ.

لندن 14.02.2010

تنويعٌ على طلال حيدر

" خَلَّيك مثل القصب

كلما عتق يحنّ... "

لَفُّوا الكفافي... مَشَّوا

والبحرُ منهم صارُ

محمود درويش باقٍ

والمدى والدار...

لَفَّوا الكَفَّافي... مَشَّوا

والبحرُ، والمرفأُ

إِغْرِيقُ فُلِّك لَنَا

مَنْ قَالَ : لَنْ نَغْرُقَ ؟

لَفَّوْا الْكِفَافِي... مَشَّوْا

كَانُوا فِدَائِيَّيْنْ.

وَالصَّبْحَ، إِذْ أَصْبَحُوا

عَادُوا فِدَائِيَّيْنْ.

لَفَّوْا الْكِفَافِي... مَشَّوْا

فَلْتَبْدَأِ الرَّحْلَةَ

لَفَّوْا الْكِفَافِي... مَشَّوْا

هَلْ تَنْتَهِي الرَّحْلَةُ؟

لندن 14.02.2010

طُ ق و س

الثلجُ الطائرُ منذُ الفجرِ نثيراً
يتحوّلُ، منذُ دقائقَ، قَطْراً تحملُهُ رِيحٌ باردةٌ.
والعشبُ يعودُ إلى خُضرتهِ الشاحبةِ
ثُمَّتَ أوراقُ يابسةٌ تبدو كعصافيرَ على العشبِ.
النافذةُ، الآنَ، هي المِراةُ.
سأجلسُ لصُقِ النافذةِ :
البحرُ قريبٌ
ونوارسُ تَمُرُقُ أعلى بقليلٍ
من سقْفِ المَبْنى القرميدِ.

.....

.....

غداً

(إِنْ صَدَقَ الطَّيْرُ)
سَأَخْذُ مَجْمَرَةً
وَبَخُورًا،
أَخْذُ سَبْعَةَ عِيدَانٍ مِنْ عِلْبَةِ ثَقَابٍ
كِي أُوقِدَ نَارِي
فِي أَعْلَى التَّلِّ...

لندن 22.02.2010

الشيوخ الأخرى يُثرثر

قال الشيوخ الأخرى
وكان في مقهى، يُحدّثُ مَنْ يُحدّثُ من رفاقِ الأُمسِ:
يا محمودُ

هل تدري بأني لا أُحبُّ البيرةَ السوداء؟
عاماً بعدَ عامٍ بعدَ عامٍ، كان أهلُ بُراغٍ يمتدحونها
يتمطّقونَ بذكرها
ويطعمها

حتى كأنّ البيرةَ السوداءَ ماءَ السلسيلِ بجنةِ المأوى
كأنّ البيرةَ السوداءَ كوثرُهُم...
ولكني أدعِبُهُم، وأمضي في الدُّعابةِ:
يا رفاقي

لا أُحبُّ بُراغٍ...

لا أهلاً
ولا بلداً!
وأنت، اليوم، يا محمود، تشهدُ
كيف تلعبُ بالعراقِ جماعةٌ بُـراغ...
❖

الشيوعيُّ الأخيرُ
اختارَ، بعدَ تردُّد، ما اختارَ :
كأساً من نبيذٍ أحمر.
المقهى صغيرٌ، دافئٌ
والنارُ نارُ جذوعِ صفصافٍ تَضَوُّعُ كالْبَحُورِ
البارُّ من خشبٍ عتيقٍ...
.....
.....
ربّما دخلتُ صديقْتُه مصادفةً.

لندن 23.02.2010

تَهْلِيلُ لِبَطَائِرِ الْفَجْرِ

طَائِرَ الْفَجْرِ، يَا طَائِرَ الْفَجْرِ، مَا أَجْمَلَكُ !
نَخْلُسْنَا، وَالْمَنَازِلُ، وَالْوَرْدُ ... لَكَ
وَالسَّمَاوَاتُ لَكَ.

طَائِرَ الْفَجْرِ، يَا طَائِرَ الْفَجْرِ، مَا أَجْمَلَكُ !



هَلَّلَ النُّورُ

أَطْلِقْ جَنَاحَيْكَ نَحْوَ الْفَلَكَ.

أَطْلِقِ الصَّوْتِ، شَدِّوْ الضِّيَاءِ الَّذِي قَبْلَكَ

طَائِرَ الْفَجْرِ، يَا طَائِرَ الْفَجْرِ، مَا أَجْمَلَكُ !



لن ترى قفصاً بَعْدُ
لن يتمكنَ منك الشُّرَكَ.
سوفَ يَقْوَى جناحك، أمضى
من النَّسْرِ أَنَّى سَلَكَ.
طائرَ الفجرِ، يا طائرَ الفجرِ، ما أنبلك !

لندن 26.02.2010

الشيوعي الأخيرُ محرّرُ بغداد

عشرون ألفاً من بساتينِ السماوةِ
أقبلوا متدافعينَ
ومن غياضِ الكوتِ...
كانوا يحملونَ بنادقَ البرُنو
ويستبقونَ سيّاراتِ "لادا" من ذواتِ المَبَدَلِ اليدويِّ
والدَّفْعِ الرُّباعيِّ...
الغبارُ يشوشُ الآفاقَ
والراياتُ حُمْرٌ، لا تكادُ تُرى من النقعِ المُثارِ.
الفجرُ لَوَّحَ
والهتافُ :

تعيشُ بغدادُ !
الشيوعيُّ الأخيرُ هنا...
الشيوعيّونَ جاؤوا
حَرِّروا بغدادَ !

لندن 28.02.2010

أغنية الغني بما اقتنى

اليومَ يومَ النيذِ

ابتعتُ خايبةً :

عشرًا

فعشرينَ...

حتى لم يعدْ، شططاً، فليسُ لديَّ

كأني الواحدُ الأحدُ !

أقولُ : إنَّ الذي يُرجى، وليسَ يُرى

مُخبَّباً.

إنَّ عمقَ الطائفِ الأبدُ ...

ما أهونَ العيشَ !

لكني أدورُهُ،

وأدريه

وأدري بالذي أريدُ...

.....

.....

.....

اليومَ يومَ النيذِ!

لندن 08.03.2010

زرادشت

سيوقدُ أكرادُ "عقرة" نيرانهم في رؤوسِ الجبالِ،
كما كان يفعلُ دوماً زرادشثةُ
الكتبِ. النارُ في القممِ. النارُ في البيتِ،
وابنُ المُقَفِّعِ في البيتِ كانَ يُرْمِزُ.
أكرادُ "عقرة" كانوا زرادشثةً يرقصونَ، وقد أوقدوا
نارهم في رؤوسِ الجبالِ.
يقولونَ : دينٌ أتى جبَّ ما قبله. ربّما...
غيرَ أني أطلعُ ناراً على جبلٍ.
وأتابعُ أقدامَ من يرقصونَ.
الفساتينُ أفوافُ ورْدُ
وتلك السراويلُ خفاقةٌ والغصونُ.

.....

.....

.....

في ربيع البراري زرادشة^{*} يرقصون.

لندن 21.03.2010

قِرَارٌ ظَالِمٌ

قَرَّرْتُ (كانت ساعتي، بالضبط، سابعة مساءً)
أَنْ أَقُولَ
لِمَنْ أُسَمِّيْهَا الضَّجِيعَةَ فِي لِيَالِي الثَّلْجِ : يَا بِنْتُ،
الوداع !
كَأَنَّ صَوْتِكَ وَهُوَ يَبْلُغُنِي مِنَ الْمُنَايِ الشَّمَالِيِّ الْفَقِيرِ
يَقُولُ:
إِنَّ الْخَيْرَ مَا نَحْتَارُ...
أَنْتِ اخْتَرْتِ أَنْ تَتَلَبَّثِي فِي الْمَرْفَأِ الْمُنْسِيِّ
أَنْ تَتَمَنَّعِي
أَنْ تَهْجِسِي، حَدْسًا، بِأَنْي سَوْفَ أَشْقَى إِنْ أَطَلَّتِ
الْمَكَّةَ

تَمَّتْ، حَيْثُ سَيْفُ الْبَحْرِ مَهْجُورٌ، وَحَيْثُ الْكَلْبُ، حَتَّى
الْكَلْبُ،
يَرْفُضُ أَنْ يُقَادَ هُنَاكَ...
لَا تَمْضِي بَعِيداً.
إِنِّي قَرَّرْتُ (كَانَتْ سَاعَتِي، بِالضَّبْطِ، سَابِعَةَ مَسَاءً)
أَنْ أَقُولَ لَكَ : الْوَدَاعَ !

لندن 24.03.2010

خَشْفٌ خَلْفَ السِّيَاحِ

تناوَحَتْ في المساءِ الرِّيحُ.
كان على ماءِ البحيرةِ غيـمٌ
غير أنَّ على الأفقِ البعيدِ بدتْ شمسٌ، مفاجئةٌ
حمراءُ...

لم أرَ شمساً في النهارِ !
هل الدنيا تَبَدَّلَتْ : الصباحُ أعمى
و جَفَنُ الليلِ ينفتحُ؟

.....

.....

.....

وَدِدْتُ لو كنتِ لَصُقِّي الآنَ...
قبلَ قليلٍ كان خَشْفٌ وراءَ السورِ

أَرْقَبُهُ
يَقْتَاتُ مَا رَقَّ مِنْ نَبْتٍ.
وَأَرْقَبُهُ
يُدْنِي الْعَصُونَ
وَيُرْخِيهَا، فَتَنْسَدِحُ ...

لندن 27.03.2010

فُتُوَّةٌ

في الـ57

حَفَرْنَا، بِأَظْفَرِنَا السُّودِ، خِنَادِقَ حَوْلَ دِمَشقَ...
بِسَاتِينُ الغُوطةِ كَانَتْ بِكثَافَةٍ أَدغَالِ الأَمَازُونِ
وَمِنَ أَعلى جَبَلِ الشَّيخِ يَسِيلُ المَاءُ زَلَالاً بَيْنَ أَصَابِعِ
مُفْعَمَةٍ بِتَرَابِ الأَرْضِ.

وفي الـ57

شَرَبْنَا عَرَقاً، رُبْعَ البَطْحَةِ
ثُمَّ نَعِمْنَا بِشَطِيرَةٍ خَبِزِ عَرَبِيٍّ، رُبْعَ اللَّيْرةِ...

في الـ57

أحيينا

وَكَتَبْنَا فِي ضَوْءِ الشَّمْعِ قِصَائِدَنَا الأُولَى.
كَانَ زَمَاناً ذَهَباً

كُنَّا فِي الـ57...

وَكُنَّا، نَحْفَرُ، مِثْلَ دِمَشقَ، خِنَادِقَنَا فِي الرُّوحِ.

لندن 28.03.2010

الفهرس

- 7..... أول أيار في موريس بلاسه (برلين)
- 11..... تدقيق^{٢٠}
- 13..... مَهْووس^{٢٠}
- 14..... النَّذِيرُ^{٢٠}
- 16..... الطبيعة^{٢٠} " سيمفونية صيفية^{٢٠} "
- 19..... مُقَارَنَةٌ^{٢٠}
- 21..... الشبوعى الأخير يغادر عمان
- 23..... ما البحرين؟
- 25..... سكون^{٢٠} صيفي^{٢٠}
- 27..... النحل يزورني
- 29..... الخريف العاشر
- 31..... أتمشى بمحاذاة القناة
- 33..... إيرلندية^{٢٠} في الشمال الأمريكى
- 35..... مرحباً، منتظراً!
- 37..... ليل الحطّة
- 39..... اليعسوب الذهب

- 42.....روايةٌ رُويَتْ^{٢٥}.....
- 44.....كلامٌ في أوّل الليل.....
- 46.....مدرسة المحموديّة.....
- 48.....قلانسُ ياسمين.....
- 50.....سأكونُ صديقي.....
- 52.....الإختناق.....
- 54.....حياةٌ عمليّةٌ^{٢٥}.....
- 56.....أبسطُ من سؤالٍ.....
- 57.....أجراسُ الميلاد.....
- 59.....هدّةٌ^{٢٥}.....
- 61.....إضرابُ بحّارةٍ.....
- 62.....تشخيصٌ.....
- 64.....البُحيرةُ المتجمّدةُ.....
- 65.....جِنازةٌ^{٢٥}.....
- 67.....هكذا.....
- 68.....خريشةٌ^{٢٥}.....
- 70.....ليسَ رهاناً.....
- 72.....حالةٌ يوميّةٌ^{٢٥}.....
- 74.....خبيةُ العَلمِ.....

- 76.....هواجسُ منزلِ التلِّ
- 78.....ثلاثةٌ تعالَبَ تلعبُ في ضوءِ القمرِ
- 80.....لا بأسَ عليكِ!
- 82.....جِنَاءُ الفِءَاوِ
- 84.....لن تأتيَ الرِّيحُ الغَربِيَّةُ
- 86.....تنويحٌ على طلالِ حيدر.....
- 88.....طُقُوسٌ
- 90.....الشيوعيِّ الأخيرُ يُثرثر.....
- 92.....تَهْلِيلَةٌ لِطَائِرِ الفجرِ
- 94.....الشيوعيِّ الأخيرُ، محرَّرُ بغداد.....
- 96.....أغنيةُ الغَنيِّ بما اقتنى.....
- 98.....زرادشت
- 100.....قرارٌ ظالمٌ^{٢٠}
- 102.....خِشْفٌ خَلْفَ السِياحِ
- 104.....فُتُوَّةٌ^{٢٠}